

البُعد الإبستمولوجي لمعاداة السامية في بروتوكولات الصهيونية
ودورها في تشكيل صدام الحضارات

*(The Epistemological Dimension of Antisemitism in the Protocols of the Elders of Zion
and Its Role in Shaping the Clash of Civilizations)*

Hamda Miftah 'Isa Ma'tuq al-Tamimi* , Mohd Roslan Mohd Nor**
& Mohammed Abdul Hamid al-Qatawneh (Corresponding Author)***

Abstract

This study investigates the epistemology of the Zionist Protocols and their cognitive role in shaping the clash of civilisations and antisemitism. Its central premise is that epistemic knowledge ostensibly, a tool for condemning oppression has been transformed into an ideological instrument that deepens oppression and civilizational conflict, and obstructs dialogue, particularly between Arab and Western civilisations. This transformation has produced a cognitive and psychological barrier foreclosing the possibility of dialogue, a condition reinforced by the political and media instrumentalisation of the Holocaust within Zionist discourse. The study aims to analyse the epistemological dimension of antisemitism in the Protocols and to demonstrate its function as a tool for constructing difference with the other and deepening civilizational division. It further seeks to explain how antisemitism was made a strategic entry point for producing a global civilizational rupture. The study adopts an analytical-textual method, based on a critical reading of the Zionist Protocols and their connection to the historical and political context underlying the construction of anti-Semitic discourse. The study concludes that this discourse is not the outcome of a people's social suffering, but rather a means of advancing an artificially constructed project, deployed in the service of Zionist strategy and aimed at reshaping Western consciousness toward the East.

Keywords: *Protocols of Zion, epistemology, antisemitism, clash of civilisations, ideological discourse, Holocaust instrumentalisation, Zionist strategy*

* Hamdah Miftah 'Isa Ma'tuq al-Tamimi. Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email:

** Mohd Roslan Mohd Nor (PhD). Department of Islamic History, Civilization and Education, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: m_roslan@um.edu.my

*** Mohammed Abdul Hamid al-Qatawneh (PhD). Department of Usuluddin and Da'wah, Academy of Islamic Studies, Universiti Malaya 50603 Kuala Lumpur, Malaysia. Email: qatawneh@um.edu.my

ملخص

تتمحور هذه الدراسة حول بحث الأبعاد الإبستمولوجية لخطاب «البروتوكولات الصهيونية» ودورها المعرفي في تشكيل مفاهيم الصدام الحضاري ومعاداة السامية. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الإبستمولوجيا المرتبطة بهذا الخطاب تحوّلت من أداة يُفترض أن تُسهّم في إدانة الاضطهاد ومواجهته إلى أداة أيديولوجية تُوظف في تعميق الانقسامات الحضارية وإعاقة الحوار بين الشعوب والثقافات، ولا سيما بين الحضارتين العربية والغربية. كما تبحث الدراسة في الكيفية التي أسهم بها توظيف الهولوكوست في الخطاب السياسي والإعلامي الصهيوني في بناء حاجز معرفي ونفسي يحد من إمكانات الحوار والتفاهم المتبادل. وتهدف الدراسة إلى تحليل البعد الإبستمولوجي لخطاب معاداة السامية، وبيان كيفية توظيفه بوصفه أداة لإنتاج الاختلاف مع الآخر وتعزيز الانقسام بين الحضارات. كما تسعى إلى تفسير الآليات التي جعلت من مفهوم «اللاسامية» مدخلاً استراتيجياً لإحداث شرح حضاري على المستوى العالمي. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النصي القائم على القراءة النقدية للنصوص المنسوبة إلى بروتوكولات حكماء صهيون، وربطها بالسياقات التاريخية والسياسية المرتبطة بتشكيل خطاب معاداة السامية وتطوره. وتوصلت الدراسة إلى أن هذا الخطاب لم يُقدّم بوصفه انعكاساً لمعاناة اجتماعية فحسب، بل جرى توظيفه - وفق منظور الدراسة - ضمن مشروع أيديولوجي وسياسي يخدم الاستراتيجية الصهيونية، ويُسهّم في إعادة تشكيل الوعي الغربي تجاه الشرق والعالم العربي.

الكلمات المفتاحية: بروتوكولات صهيون، الإبستمولوجيا، معاداة السامية، صدام الحضارات، الآخر الحضاري، الخطاب الأيديولوجي، توظيف الهولوكوست.

المقدمة

شكّلت البروتوكولات الصهيونية عائقاً قوياً وحاجزاً صلباً أمام حوار الحضارات بين الشرق والغرب، وإمكانية تفعيله، لا سيما بين الحضارتين الإسلامية والغربية، وكان من أهم أسلحة الصهيونية التي استخدمتها في هذا الصدد

هو الهولوكوست⁽¹⁾ الحاصل في ألمانيا النازية، واختراع ما سُمِّي بمعاداة السامية⁽²⁾، واكتساب التعاطف العالمي من خلال لعب دور الضحية. واستغل (فرويد) وتلاميذ مدرسته اليهود طريق التحليل النفسي لخدمة اليهودية العالمية، والحركة الصهيونية؛ لذا فقد وجدوا بغيتهم في موضوع معاداة السامية، تلك الفكرة التي حمل اليهود رايتها في العالم الغربي؛ لإسكات كل لسان يمكن أن يتحرك في انتقاد اليهود، وإيقاف كل مقاومة تتوجه لصد مكابدهم وتحركاتهم المرية في السياسة، أو الاقتصاد، أو الإعلام، أو مجالات العلم والثقافة، أو في غير ذلك من مجالات⁽³⁾.

ومما يثير العجب في خطة العمل اليهودية، أن قادة الصهيونية قد كانت لهم رغبة بتحريض الأمم الأخرى على معاداة السامية -أي: معاداة اليهود- لتستفيد الحركة الصهيونية من ذلك، حتى قال (هرتزل) مؤسس الصهيونية الحديثة: "إن الصهيونية أحوج ما تكون إلى مبدأ معاداة السامية لكي تنتعش"⁽⁴⁾. واستغلت البرتوكولات الصهيونية الترويج لمعاداة السامية أو اللاسامية؛ تحقيقاً لمآرب الصهيونية⁽⁵⁾، كما خطط الصهاينة لاستغلال مفهوم اللاسامية في إحداث شرخ واضح بين حضارات العالم، من خلال تصوير الصهيونيين في دور الضحية، وتمكينهم من تنفيذ

(1) الهولوكوست: (المحرقة) الإبادة تحت مظلة الدولة وقتل ليهود أوروبا من قبل ألمانيا النازية والمتعاونين معها في الفترة ما بين 1933 و1945، وهي أقصى مثال لمعاداة السامية عبر التاريخ. (انظر: معاداة السامية، موسوعة الهولوكوست،

[.https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/antisemitism](https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/antisemitism)).

(2) مصطلح أوروبي حديث يعني كراهية اليهود، والعداء المنهَج تجاه أتباع الديانة اليهودية، كما أنه يحمل تحريفات أيديولوجية، إذ إنه يعتبر أن البشر لهم تقسيمات على أسس عرقية تميز علواً وانحطاطاً، وأن هذا العداء البشري لليهود؛ لأنهم ذوو صفات عرقية موروثية، تحمل غيرهم على كراهيتهم، ورغم أن هذا الاتجاه يعني أن يكون معهم كل من يتكلم اللغات السامية، وعليه فإن هذا الفكر يشمل العرب، إلا أن اليهود اختصوا أنفسهم بهذا الأمر، كي يصدروا للعالم أنهم ضحايا، في أمس الحاجة للدفاع عن النفس وإثبات الذات. (انظر: أفكار بسيطة بشأن معاداة السامية، مكسيم رودنسون، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد 120، خريف 2019، ص: 96 و97. (انظر: معادان السامية، موسوعة الهولوكوست،

[.https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/antisemitism](https://encyclopedia.ushmm.org/content/ar/article/antisemitism)).

(3) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبْنَكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412هـ - 1992م، ص: 225.

(4) صراع مع الملاحدة حتى العظم، عبد الرحمن بن حسن حَبْنَكَة الميداني الدمشقي، دار القلم - دمشق، الطبعة: الخامسة، 1412هـ - 1992م، ص: 226.

(5) سميث، روبرتسن، ديانة الساميين، ترجمة: عبد الوهاب علوب، المكتبة العامة للثقافة - القاهرة، د.ط، 1997م، (ص:

مخططهم الخطير للسيطرة على العالم، وأشار البروتوكول التاسع إلى ذلك إذ نص على: "أن اللاسامية ضرورية لنا للاستفادة منها في رعاية إخواننا المستضعفين"⁽⁶⁾.

وغدت قصة معاداة السامية هي السلاح الدعائي الذي يحمله اليهود في العالم الغربي؛ لاثام كل من يعارض يهودياً، ومن المنظور الإبستمولوجي، لا تتشكل المعرفة في فراغ تاريخي أو سياسي، بل ترتبط بمنظومات القوة والهيمنة التي تسهم في إنتاجها وإعادة توجيهها. وفي هذا السياق يؤكد ميشيل فوكو أن «المعرفة ليست مستقلة عن السلطة، بل إن كل نظام معرفي ينتج أنماطاً من السلطة ويعيد إنتاجها»؛ وهو ما يفسر قدرة بعض الخطابات على الانتقال من مجرد سرديات تاريخية إلى أدوات فاعلة في تشكيل الوعي الجمعي وتوجيه المواقف السياسية. وانطلاقاً من هذا التصور يمكن النظر إلى خطاب معاداة السامية بوصفه أحد الخطابات التي تجاوزت بعدها التاريخي لتؤدي وظيفة معرفية وسياسية مؤثرة في تشكيل الإدراك الغربي تجاه قضايا الشرق الأوسط.

الدراسات السابقة ومراجعة الأدبيات

لقد جمع الباحث عدداً من الدراسات السابقة المتعلقة بهذا الحقل المعرفي فتبين له عدداً منها تناولت موضوع الصهيونية وأبعادها الفكرية والحضارية قد تنوعت بين مقاربات سياسية وفكرية ودينية وحضارية؛ إذ تناولت دراسة بدر (2017م)⁷ الإيديولوجية الصهيونية والغرب: رحلة التوظيف من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا العلاقة بين الاستشراق والصهيونية والإسلاموفوبيا بوصفها أنساقاً معرفية أسهمت في تشكيل صورة الآخر داخل الوعي الغربي. كما بحثت دراسة لعمش (2015م)⁸ الاستغلال السياسي للنص المقدس: الصهيونية المسيحية أمودجاً في توظيف النصوص الدينية لخدمة المشروع الصهيوني وإعادة إنتاجه ضمن سياقات سياسية، في حين ركزت دراسة الكعبير (2013م)⁹ الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991-2013م على تحليل انعكاسات الفكر السياسي الصهيوني على مسار

(6) يُنظر: نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون، مرجع سابق، (ص: 217).

⁷ بدر، أشرف، الإيديولوجية الصهيونية والغرب رحلة التوظيف من الاستشراق إلى الإسلاموفوبيا ورقة بحثية منشورة بمجلة الاستغراب، شتاء 2017م.

⁸ لعمش، عبد الحفيظ، الاستغلال السياسي للنص المقدس - الصهيونية المسيحية أمودجاً-، بحث محكم منشور بمجلة معارف، السنة العاشرة، العدد 19/ ديسمبر 2015م.

⁹ الكعبير، هاني فهاد، الفكر السياسي الصهيوني وأثره على الصراع العربي الإسرائيلي في مرحلة السلام 1991 - 2013م، ماجستير، قسم العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2012 - 2013م.

الصراع العربي الإسرائيلي. أما دراسة بلخضر (2006م)¹⁰ الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية: دراسة تحليلية نقدية” فقد تناولت الأصولية السياسية الصهيونية من حيث نشأتها ومصادرها الفكرية وعلاقتها بالأصوليات الأخرى، بينما انطلقت دراسة المعاينة (1988م)¹¹ أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر” من فرضية الربط بين البنية العقديّة اليهودية وتشكّل الفكر الصهيوني الحديث. وفي السياق الحضاري، ناقشت دراسة لحوالي (2020م)¹² رؤية نقدية للمركزية الغربية عند روجيه غارودي إشكالية المركزية الغربية ونقدها، في حين درست دراسة عطوان (2017م)¹³ الاستعمال الإيديولوجي للثقافة: صدام الحضارات أتمودجًا توظيف مقولة صدام الحضارات في الخطاب الغربي الحديث.

وعلى الرغم من تنوع هذه المقاربات وراثتها التحليلي، إلا أنها بقيت في مجملها ضمن حدود التحليل السياسي والفكري والتاريخي، دون التعمق في تفكيك البنية الإستراتيجية التي ينتج من خلالها خطاب معاداة السامية في بروتوكولات الصهيونية آلياته المفاهيمية والتأويلية. كما أنها لم تتجه إلى الكشف عن الكيفية التي يُعاد بها بناء التصورات الحضارية عبر هذا الخطاب بما يسهم في تشكيل ثنائية الصدام بين “الذات” و“الآخر”. ومن ثم تتحدد الفجوة المعرفية لهذه الدراسة في الانتقال من تحليل المضامين إلى تحليل البنى المعرفية الكامنة، ومن قراءة الأيديولوجيا إلى تفكيك شروط إنتاجها الإستراتيجية، بما يسمح بفهم أعمق لدور هذا الخطاب في إعادة تشكيل الوعي الحضاري المعاصر.

10 بلخضر، كريمة، الأصولية السياسية المعاصرة من خلال الرؤية الصهيونية، دراسة تحليلية نقدية، ماجستير، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر بن يوسف بن خدة، 1427هـ، 2006م.

11 المعاينة، عطا الله بختيت، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر ماجستير، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1988م.

12 لحوالي، سارة، رؤية نقدية للمركزية الغربية عند روجيه غارودي، ماجستير، فلسفة عامة، قسم العلوم الاجتماعية، كلية العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2020م.

13 عطوان، محمد، الاستعمال الإيديولوجي للثقافة، صدام الحضارات أتمودجًا، من منشورات اتحاد الأدباء والكتاب في البصرة، 2017م.

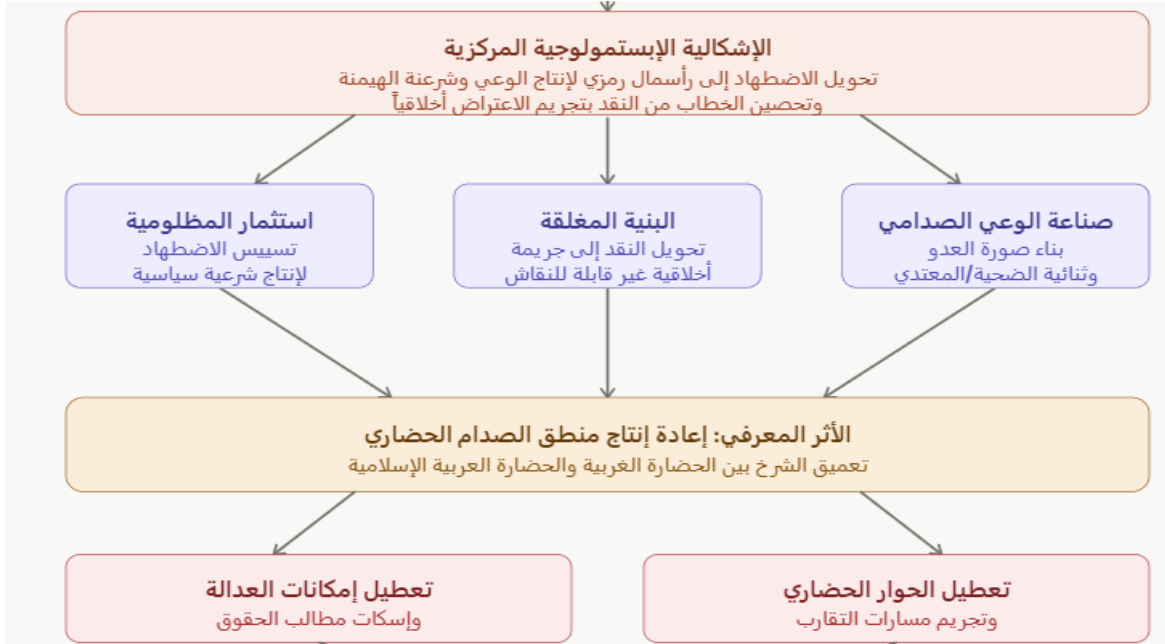
منهجية الدراسة

استخدمت الباحثة في بحثها عددًا من المناهج على النحو الآتي: المنهج التاريخي: اعتمدت الباحثة على المنهج التاريخي في دراسة تاريخ البروتوكولات، والجذور التاريخية لنشأتها، وتزامن ذلك مع ظهور نظرية صدام الحضارات، التسلسل التاريخي لظهور الصدام على حساب الحوار الحضاري. المنهج الوصفي التحليلي: اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وهو: " أسلوب من أساليب التحليل المرتكز على معلومات كافية ودقيقة، عن ظاهرة أو موضوع محدد، وذلك للحصول على نتائج علمية ثم تفسيرها بطريقة موضوعية" (14). واختارت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي النقدي لأنه المنهج الذي يهتم بالحالة الراهنة للظاهرة تحت الدراسة، من حيث طبيعة الظروف والممارسات والاتجاهات السائدة حاليًا ونقدها، ووصف النشاطات والعمليات والعلاقات السائدة بين الظواهر الجارية.

مشكلة الدراسة

تكمن إشكالية هذه الدراسة في الكشف عن البُعد الإستمولوجيا لمعاداة السامية كما صاغته بروتوكولات حكماء صهيون، حيث تحوّل هذا المفهوم من توصيفٍ لاضطهادٍ تاريخي إلى أداة معرفية وأيديولوجية مُنتجة للصدام الحضاري، تُستخدم لإعادة تشكيل الوعي الغربي، وشرعنه التفوق الصهيوني، وتعطيل أي مساءلة أخلاقية أو قانونية لممارساته. وأيضاً لم تتعامل البروتوكولات مع معاداة السامية بوصفها ظاهرة سلبية يجب تجاوزها، بل اعتبرت وسيلة استراتيجية وظيفية، كما ورد في البروتوكول التاسع: «إن اللاسامية ضرورية لنا، إذ بها نُرغم الشعوب على الانقياد لنا»، وفي موضع آخر: «نحن نُثير الكراهية ضدنا كي نبذو ضحاياها، فنستفيد من ذلك في توطيد سلطاننا) «البروتوكول الثاني عشر». (ومن هنا، لم تُنتج البروتوكولات خطاباً دفاعياً عن الإنسان، بل أسست لبنية معرفية مغلقة تقوم على استثمار الاضطهاد، وتسييس المظلومية، وتحويل النقد إلى جريمة أخلاقية، وهو ما أسهم في تعميق الشرخ الحضاري، وإعادة إنتاج منطق الصدام بدل الحوار، خاصة بين الحضارة الغربية والحضارة العربية الإسلامية. وعليه، تنطلق الدراسة من السؤال المركزي الآتي: كيف أسهم التوظيف الإستمولوجي لمعاداة السامية في بروتوكولات حكماء صهيون في تحويل هذا المفهوم إلى أداة لصناعة الوعي الصدامي، وشرعنه الهيمنة، وتعطيل إمكانات العدالة والحوار الحضاري؟

(14) عبيدات، وزملاؤه، منهجية البحث العلمي (القواعد، والمراحل، والتطبيقات)، (ط2/ص 46).



البروتوكولات الصهيونية: ظهور المفهوم والوظيفة الإستمولوجية

حظيت البروتوكولات باهتمام عالمي، وعُني العديد من الكُتّاب والمؤلفين بما ورد فيها، والعمل على ترجمتها إلى لغات غير العبرية، إذ أحدثت ضجة سياسية واجتماعية واقتصادية، بما أسفرت عنه من مخططات وأسرارٍ صدمت العالم، وأججَت الصدام، ورُوِّجت لأرض الميعاد، والتعالى على غير اليهود من أهل الأديان الأخرى، والحضارات المختلفة والجنسيات واللغات العالمية المتعددة. والبروتوكولات الصهيونية تعني مخططات ووثائق سرية مكونة من أربع وعشرين بروتوكولاً تتضمن أساليب متعددة للسيطرة على العالم من خلال منظمة يهودية تولت وضع فصول البروتوكولات وفق خطة سرية محكمة⁽¹⁵⁾، كما أنها تستعمل في العديد من اللغات الأوروبية بمعانٍ مختلفة، منها ما يُعنى بالعادات المتبعة من قِبل الدول في استقبال الملوك والأمراء والزعماء، كما أنها تُعبر عن محضر الجلسات بالمؤتمرات السياسية.⁽¹⁶⁾ وجاء في تعريف كلمة بروتوكول "Protocol" لغويًا: "القرار أو محضر

⁽¹⁵⁾ يُنظر: نويهض، عجاج، بروتوكولات حكماء صهيون- نصوصها، رموزها، أصولها التلمودية، دار الاستقلال للدراسات والنشر- بيروت، ط4، 1996م (ص: 1-4).

⁽¹⁶⁾ المرجع السابق، (ص: 3-4).

الجلسات أو المحاضرة أو مسودة لخطة عمل ما⁽¹⁷⁾، أي أنها عبارة عن مجالس ومحاضر كُتِبَتْ ودُوِّنَتْ جَزَاءً اجتماعات لقادة صهيانية عملوا على الاتفاق عليها وصياغتها، ودعم ما جاء فيها من مخططات على خطِّ زمني كبير. كما تشير بعض الدلائل إلى ظهور البروتوكولات عام 1933م، بعد ظهور هتلر وتفكيكه هيكل اليهود في ألمانيا، إذ عرف العالم طريق الصهيونيين في سويسرا، وكانت الجبهة الوطنية السويسرية هي المقاومة للصهيونيين وفاضحة البروتوكولات، مما دعا الصهيانية إلى اللجوء إلى القضاء للدفاع عن أنفسهم في التنصل من تلك البروتوكولات، ونجحوا في اكتساب القاضي المنفرد، إذ سُجِّلَت الدعوى في 26 يونيو 1933، وادعى اليهود أنَّ هذه البروتوكولات تطعن في اليهود وتقدهم في أفكارهم، واستمالوا القاضي حتى صدر حكمه بأنَّ البروتوكولات مزورة، ومن ثمَّ عمدوا إلى الترويج لهذا الأمر، وتناولت الصحف قرار المحكمة الصادر في 4/5/1935م، بالنشر والترويج على أوسع نطاق حتى قبل صدوره من القاضي بأيام، مما حدا بالمدعى عليهم استئناف الحكم.⁽¹⁸⁾ كشفت البروتوكولات عن هوة سحيقة تنطلي عليها قوانينها في الفكر والسلوك الأخلاقي، كما أشارت إلى الأخلاقيات الصهيونية الممارسة على أرض الواقع؛ دُعْمًا لأطماعها وتحقيقًا لأهدافها، كما بُجِّدَت الأحداث الواقعة في غزة من هدم وتشريد وقتل وتهديد دائم ومستمر، وصل إلى حد التجويع المتعمد والإبادة الجماعية ووآد الطفولة، دون أي رادع من وازع إنساني أو قوة قانونية أو سلطة أخلاقية، إنما هو الانتقام والإبادة والهدم؛ لتحقيق أهداف مرسومة سلفًا. وأما على الصعيد المفاهيمي فتُعد البروتوكولات مزيجًا من الخطط والمؤامرات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، التي صُهِرت في بوظقة الأهداف وتكامل تحقيقًا لها، كما ركَّزت على الطبائع البشرية، وحرصت على تلبية رغباتها بأحط الوسائل وأرذل الأخلاقيات، وأوضع السلوكيات، بعدما تعرَّف اليهود على طبائع البيئات المختلفة، وما تحب وما تكره، وما تُقَدِّس وما تحتقر، من خلال تناثرهم في جل مجتمعات العالم.⁽¹⁹⁾

⁽¹⁷⁾ يُنظر: فراي، ل، القوى الخفية في السياسة العالمية، ترجمة: محمد كمال ثابت - بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، (ص: 75).

⁽¹⁸⁾ مارسدن، فكتور، بروتوكولات حكماء صهيون، الحرية للنشر والتوزيع - القاهرة، 2003م، ص: 34 - 35.

⁽¹⁹⁾ المعاينة، عطا الله بخيت، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى - مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1988م، ص: 437.

وتتضمن البروتوكولات مبادئ أساسية وخططاً استراتيجية غير قابلة للتعديل أو التغيير⁽²⁰⁾، ولما كانت هذه البروتوكولات سرّية يُخشى افترساح أمرها، فظهرها لم يكن بوقت محدد معلوم، بل إن الروايات تشير إلى تسريبات أدت إلى اكتشاف سرها، مع تعميم صهيوني وتنكر لما جاء فيها، وتبرأ مما بها. والصهيونية متعددة الخطط متنوعة المؤامرات، تعمل منذ زمن سحيق على السيطرة على هذا الكون، وهو ما دفعهم إلى إنشاء المؤسسات والمنظمات مثل: الماسونية وترسيم الخطط والأهداف مثلما ورد في: البروتوكولات، وجعلهم يتخفون على مر التاريخ. ويشير وليم كاي غار في كتابه: (أحجار على رقعة الشطرنج) إلى أن المؤامرة كانت منذ زمن سحيق، إذ في عام 1784 م، حصلت الحكومة البافارية⁽²¹⁾ على براهين قاطعة تؤكد وجود المؤامرة الشيطانية المستمرة، وعمل آدم وايزهاوبت⁽²²⁾ على إعادة صياغتها - في إشارة إلى وجودها في زمن سابق على هذا الزمن - واستأجره المرابون المنظمون لمؤسسة روتشيلد من أجل مراجعة البروتوكولات؛ تمهيداً لكنيس الشيطان للسيطرة على العالم، وأنهى وايزهاوبت مهمته في الأول من آيار (مايو) 1776 م.⁽²³⁾ إن حب التدمير المتأصل في النفس الصهيونية فضلاً عن النفس البشرية جعل أتباع الصهيونية يجاهدون من أجل تحقيق تلك المؤامرة الكبرى؛ لما فيها من تحطيم لجميع الحكومات والأديان الموجودة، وتقسيم شعوبها المسماة في البروتوكولات بالجوييم، بخلق المشكلات وإلهائهم بالتصارع حول عددٍ من المشكلات بجميع أنواعها: اقتصادية، سياسية، عنصرية، واجتماعية. دوغما توقف.⁽²⁴⁾ وفي رواية وليم كار أن أمر هذه المؤامرات انكشفت لما كانت فرنسا وإنجلترا أعظم قوتين في العالم في تلك الفترة، إذ أصدر وايزهاوبت أوامره إلى جماعة النورانيين كي يثيروا الحروب الاستعمارية؛ بهدف إنهاك بريطانيا وإمبراطوريتها، وتنظيم ثورة كبرى من أجل إضعاف فرنسا،

(20) الرفاعي، فؤاد بن سيد عبد الرحمن، حقيقة اليهود، دار صلاح الدين - الكويت، د. ط، 1406هـ، ص 27.

(21) هي إحدى الولايات الاتحادية الستة عشرة المكونة لجمهورية ألمانيا الاتحادية، عاصمتها وكبرى مدنها هي مدينة ميونخ التي تقع شمالاً من جبال الألب، وفي بافاريا توجد أعلى قمة لجبال الألب الألمانية، وتسمى قمة تسوغشبيتسه التي يبلغ ارتفاعها 2950 متراً فوق سطح البحر.

(22) آدم وايزهاوبت: أستاذاً يسوعياً للقانون في جامعة أنغولد شتات، لكنه ارتد عن المسيحية ليعتنق المذهب الشيطاني.

(23) كار، وليم كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائري، الحرية للنشر والتوزيع - القاهرة، د. ط، د. ت، (ص: 14 - 7).

(24) كار، وليم كار، أحجار على رقعة الشطرنج، الحرية للنشر والتوزيع - القاهرة، د. ط، د. ت، (ص: 14 - 7).

وكان في مخططه أن تندلع تلك الثورة عام 1789م، ووضع كاتب ألماني يُدعى سفاك نسخة وايزهاوبت المنقحة على شكل كتاب بعنوان: (المخطوطات الأصلية الوحيدة). وفي عام 1784 م، أرسلت نسخة من هذه الوثيقة إلى جماعة النورانيين، الذين أوفدهم وايزهاوبت إلى فرنسا لتدبير الثورة فيها، ولكن صاعقة انقضت على حامل الرسالة، وقام رجال الشرطة بتسليم تلك الوثائق إلى السلطات المحلية في بافاريا، إذ تبين أنها موجهة من قبل اليهود في ألمانيا إلى رئيس المحفل الماسوني في فرنسا، وسُلِّمت الأوراق إلى السلطات المختصة في حكومة بافاريا. (25)

ويرى الباحث أن تعريف "البروتوكولات" في هذا السياق تحول مفاهيمي غير منضبط من معناها اللغوي المحايد، الذي يشير إلى المحاضر الرسمية أو السجلات الإجرائية، إلى استخدام تفسيري مشحون بدلالات سياسية وأيديولوجية واسعة. لا يعكس هذا التحول تطوراً دلاليًا طبيعيًا، بل هو إعادة صياغة متعمدة للمفهوم ضمن إطار تفسيري مُسبق، يُحمّل المصطلح بمعانٍ تتجاوز بنيته الدلالية الأصلية. يعتمد بناء المعنى في هذا الخطاب على دمج أنماط خطابية متباينة دون تمييز منهجي. إذ يندمج التفسير اللغوي والسرد التاريخي والتعليق السياسي في بنية حجاجية واحدة، مما ينتج عنه معنى مركب يفلت من ضوابط التحقق النقدي الدقيق. وبذلك، يعمل المفهوم كأداة تفسيرية شاملة بدلاً من كونه مصطلحاً ذا حدود دلالية محددة.

التوظيف الإبستمولوجي للآخر الحضاري في البروتوكولات الصهيونية

تكشف البروتوكولات عن آلية معرفية تقوم على بناء صورة نمطية للآخر الحضاري وإعادة تشكيل الوعي تجاهه بوصفه مصدرًا دائمًا للتهديد والصراع، بما يبرر استراتيجيات الهيمنة والإقصاء ويمنحها غطاءً فكريًا وأخلاقيًا. وفي هذا السياق، لا تُوظف السرديات التاريخية والمقولات الأيديولوجية باعتبارها أدوات تفسير للواقع فحسب، بل باعتبارها مرجعيات إبستمولوجية تُعيد إنتاج العلاقة مع الآخر ضمن منطق الصدام والمواجهة المستمرة. ومن ثمّ، تتحول هذه التصورات إلى ممارسات عملية وسياسات ميدانية تعكسها أنماط العنف والإقصاء التي تُمارس بحق

(25) يُنظر: كار، وليم كار، أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة: سعيد جزائري، الدار النفائس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1970م، (ص: 14).

الشعوب الأخرى، حيث تتجلى في سياسات الهدم والتهجير والقتل والتجويع وانتهاك الحقوق الإنسانية الأساسية. وعليه، فإن البروتوكولات لا تمثل مجرد نص سياسي أو أيديولوجي، بل تعكس منظومة معرفية تسعى إلى إعادة تشكيل الوعي الحضاري وفق ثنائية التفوق والتهديد، بما يفضي إلى تعميق الانقسام الحضاري وإدامة منطق الصراع بدلاً من بناء جسور التفاهم والتعايش بين الأمم والحضارات. والاقتصادية، التي صُهرت في بوظقة الأهداف وتتكامل تحقيقاً لها، كما ركّزت على الطبائع البشرية، وحرصت على تلبية رغباتها بأحط الوسائل وأرذل الأخلاقيات، وأوضع السلوكيات، بعدما تعرّف اليهود على طبائع البيئات المختلفة، وما تحب وما تكره، وما تُفدّس وما تحتقر، من خلال تناثرهم في جل مجتمعات العالم.⁽²⁶⁾

ومما يؤكد الانحرافات الفكرية في البروتوكولات، وخطورتها في تأجيج صدام الحضارات عالمياً، ما أشار إليه البروتوكول الأول: "يجب أن يُلاحظ أنّ ذوي الطبائع الفاسدة من الناس أكثر عدداً من ذوي الطبائع النبيلة، مما يعني أنّ الوصول إلى أفضل النتائج يكون عن طريق العنف والإرهاب لا المناقشات الأكاديمية والمجادلات النظرية، وهو ما يحقق التسلط على الجويميم"⁽²⁷⁾، إذ فيه دعوة صريحة إلى الرذائل، ومغالبة قوى الشر لقوى الخير في الدنيا، والانتصار باستخدام الترويع والإرهاب. وعن أثر البروتوكولات ودورها في الأحداث العالمية، وخطورها على الحضارة الإنسانية، يُلخّص هنري فورد مؤسس شركة صناعة السيارات ذات الشهرة العالمية، موقف من انتابهم القلق من الهجوم المضطرد على المدينة المسيحية في مقابلة نشرتها صحيفة (وورلد) بنيويورك في 17 فبراير 1921م، قائلاً: "التصريح الوحيد الذي يهمني أن أُصدره بشأن البروتوكولات أنّها تتطابق وما هو جارٍ، رغم مُضيّ ستة عشر عاماً على صدورها، ولقد لاءمت المجرى العالمي للأحداث حتى وقتنا الراهن، وها هي تلائمه الآن"⁽²⁸⁾. واستمرت الأحداث المتلاحقة إلى وقتنا هذا الذي نعايشه، مروراً بكل تفاصيل وحروب وملابسات الصراع العربي- الإسرائيلي، وصولاً إلى حرب غزة 2023-2024م، والدعم المتناهي من الغرب، والتغاضي

(26) المعاينة، عطا الله بخيت، أثر الانحراف العقدي والفكري عند اليهود على الفكر الصهيوني المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة، 1988م، ص: 437.

(27) البروتوكولات، ص: 102.

(28) ل. فراي، القوى الخفية في السياسة العالمية، مراجعة: دنيس فاهي، ترجمة: العقيد محمد كمال ثابت، دار الكتاب العربي- بيروت، د. ط، د. ت، ص: 114.

عن الأفعال والتجاوزات الصادرة عن الكيان الصهيوني، إذ إنَّها أدانت المقاومة في دفاعها عن الأطفال والصغار والكبار، في حين دعمت أمريكا والغرب الكيان الصهيوني حتى بعد إدانته من محكمة العدل الدولية. وهذا ناتج عن التخطيط للهدف الأساسي لليهود من خلال بروتوكولاتهم، إذ صرَّحوا فيها أنَّ السيطرة على هذا العالم بما فيه من حكومات، حتى تصبح حكومة عُليا تسيطر على العالم أجمع، سيطرة خفية أو ظاهرة⁽²⁹⁾. ويؤكد المسيري على هذا المعنى قائلاً: "ومن أهم المصطلحات التي أحرزت شيوعاً في لغات العالم مصطلح (معاداة السامية)، وهو مصطلح يعكس التحيزات العرقية والمركزية الغربية التي ترجمت نفسها إلى نظام تصنيفي (آري- سامي)، والسامي بالنسبة للغرب هو اليهودي، وهو ما لا يمكن أن يقبله أي دارس للتشكيل الحضاري السامي ومع هذا شاع المصطلح وسبب الخلل، وأصبح المجال الدلالي لمصطلح «معاداة السامية» يشير إلى أي شيء ابتداءً من محاولة إبادة اليهود، وانتهاءً بالوقوف ضد إسرائيل بسبب سياساتها القمعية ضد العرب، مروراً بإنكار الإبادة"⁽³⁰⁾. ومن خلال هذا العرض، يتضح أنَّ الصهيونية رسَّخت معاداة السامية، وتاجرت بها، واستغلَّتها أيَّما استغلال؛ كي تحقق أهدافها في الشرق الأوسط، والدفع بتعاليم البروتوكولات في هذا الإطار؛ دعماً للشقاق وتحقيقاً للفراق العالمي، وترسيخاً للصدام، واستعلاءً للجنس اليهودي والشعب الصهيوني، وهو ما أسفر عن هذا الشقاق العالمي، والانشقاق المجتمعي، وتخيُّر أدياء الإنسانية للقتل والتفجير والتشريد والتجويع على حساب الطفولة والأمومة والكهولة، وما نشاهده يومياً يعد هولوكوست حقيقي واقعي ترصده الكاميرات العالمية، وتتابعه الشعوب البشرية قاطبة، إلا إننا لا نجد رادعاً أو وازعاً لهذا الكيان؛ جرَّاء هذا التعاطي الفكري والأيدولوجي والسياسي لمعاداة السامية سابقاً، والعمل على صدام حضارات يدوم عبر الخط الزمني الطويل.

يرى الباحث أن البروتوكولات لا تكتفي بتصوير الآخر كخصم سياسي أو منافس حضاري، بل تُشكِّله معرفياً كآخر مُهدِّد" يُستحضر باستمرار عبر شبكة كثيفة من الروايات التاريخية والرموز الثقافية المنظمة حول مفهومي الضحية ومعاداة السامية. في هذه العملية، تتوقف هذه الروايات عن العمل كمزاعم تاريخية أو تأكيدات واقعية، لتصبح إطاراً معرفياً يُنتج المعرفة ويُوَجِّه إدراك الذات والآخر. والنتيجة هي إعادة تشكيل

⁽²⁹⁾ السيد صالح، سعد الدين، العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية، دار الصفا للطباعة والنشر، ط2، 1410هـ - 1990م، ص: 180.

⁽³⁰⁾ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دكتور عبد الوهاب المسيري، (1 / 63).

منهجية للوعي الجمعي على أساس صراع دائم، يُرسخ الانقسام الحضاري ويُغلق الباب أمام إمكانية وجود رؤية إنسانية مشتركة قائمة على الاعتراف المتبادل والحوار الحضاري. ما يتبلور إذًا هو خطاب يُوظف التاريخ والهوية عمدًا لا للتفاوض بشأن الاختلاف، بل لتصنيع حدود حضارية ودعم منطق المواجهة على حساب منطق التعايش.

النتائج والتوصيات

تكشف الدراسة أن البروتوكولات الصهيونية لا تنتمي في جوهرها إلى صنف الوثائق السياسية المجردة، بل تشكل منظومة معرفية متكاملة أحكم بناؤها لإنتاج صورة الآخر الحضاري بوصفه تهديدًا وجوديًا دائمًا. والخطاب الوارد فيها لا يعكس واقعًا قائمًا، بل يُعيد تأسيسه على المستوى المعرفي، وهو ما يجعله أشد أثرًا من أي برنامج سياسي، إذ يعمل على مستوى الوعي والإدراك قبل أن تتشكل الممارسة.

وتُثبت الدراسة أن توظيف معاداة السامية في هذه الوثائق لم يكن استجابةً دفاعيةً عن هوية مهددة، بل كان أداةً إبستيمولوجية وظيفية استُدعيت لتبرير الإقصاء وإضفاء الشرعية على العنف. تحولت المظلومية التاريخية من واقعة قابلة للتوثيق والنقد إلى مرجعية معرفية مغلقة، منيعة على المساءلة، وقد أفرز هذا التحول خطابًا استثنائيًا يرفع صاحبه فوق متطلبات المحاسبة الأخلاقية والقانونية.

أما الانتقال من هذا الخطاب إلى الممارسة العملية، فلا تعدّه الدراسة انتقالًا طارئًا. إنه نتيجة بنيوية لمنظومة معرفية تُشرع للعنف قبل وقوعه وتُهيئ مناخه الأخلاقي مسبقًا. وما تشهده غزة من إبادة وتهجير وتجويع لا يمكن استيعابه بمعزل عن هذه البنية، التي أنتجت مفهوم الآخر التهديدي وأضفت على إقصائه طابعًا مشروعًا.

وتنتهي الدراسة كذلك أن الشرخ الحضاري الذي تكّرسه البروتوكولات ليس وليد صراع سياسي آني، بل هو بناء معرفي إبستمولوجي ومتجدد، تُعيد هذه المنظومة إنتاجه في كل مرحلة تاريخية عبر أدوات ومفاهيم جاهزة. والنتيجة أن الصدام لا يبدو خيارًا بل مألًا حتميًا، مما يُغلق المسالك التي يمكن أن تُفضي إلى حوار حضاري فعلي أو تعايش مستدام.

وتلخص الدراسة إلى أن مواجهة هذا الخطاب تستلزم في المقام الأول تفكيكاً أبستمولوجياً يكشف أدوات إنتاج المعرفة المنحازة وبنيتها الداخلية، ذلك الخطاب الذي يُعيد تشكيل الوعي، بل يحتاج إلى خطاب معرفي مضاد يُعيد تأسيس الإدراك على قيم الاعتراف المتبادل والتفاعل الحضاري القائم على العدالة.

التوصيات

توصي الدراسة بإنشاء منصات بحثية مشتركة تُعنى بدراسة خطاب "الآخر" في السياقات السياسية والإعلامية، بما يتيح بناء أدوات منهجية لرصد وتحليل التحولات الإبستمولوجية في الخطابات المعاصرة. توصي بضرورة توظيف نتائج الدراسات التحليلية في تطوير خطاب أكاديمي وإعلامي أكثر توازناً، يساهم في الحد من إعادة إنتاج صور الصراع الحضاري وتعزيز الحوار بين الثقافات، عبر استثمار المنصات الرقمية وتقنيات الذكاء الاصطناعي في تحليل الخطابات وتوجيه المحتوى. توصي الدراسة بأخذ البعد الإبستمولوجي للفكر في الاعتبار عند تحليل مفاهيم الصراع، وتوسيع نطاق النشر العلمي باللغة العالمية، بما يساهم في كشف مظاهر التطرف العرقي والديني وتحليل خطاباته بصورة نقدية ومنهجية.

قائمة المصادر والمراجع

REFERENCES

- Rajab al-Bannā. *Şinā'at al-'Adā' li-l-Islām*, al-Qāhirah: Dār al-Ma'ārif, Ṭ2.
- Rashtī, Jihān. *Al-Di'āyah wa-Istikhdām al-Rādiyū fī al-Ḥarb al-Nafsiyyah*, Dār al-Fikr al-'Arabī, al-Qāhirah, 1985M.
- Ryjīnā al-Sharīf. *al-Şihyūniyyah Ghayr al-Yahūdiyyah: Judhūruhā fī al-Tārikh al-Gharbī*, trans. Aḥmad 'Abd Allāh 'Abd al-'Azīz, 'Ālam al-Ma'rifah, 1985M.
- Huntington, Samuel. *Şidām al-Ḥaḍārāt wa-I'ādat Şan' al-Niẓām al-'Ālamī*, trans. Ṭal'at al-Shāyib, Ṭ2, 1999M.

Herzl, Theodor. "Opening Address at the First Zionist Congress," in *Zionist Writings: Essays and Addresses*, Vol. I, Hertz Press, New York, 1973.

Herzl, Theodor. *al-Dawlah al-Yahūdiyyah*, trans. Muḥammad Fāḍil, al-Qāhirah: Maktabat al-Shurūq al-Dawliyyah, Ṭ1, 1428H/2007M.

al-Ṭawīl, Yūsuf al-‘Āsī Ibrāhīm. *Al-Ḥamlah al-Ṣalībiyyah ‘alā al-‘Ālam al-Islāmī wa-al-‘Ālam: al-Judhūr, al-Mumārasah, Subul al-Muwājahah*, Ṣawt al-Qalam al-‘Arabī, Miṣr, Ṭ2, 1431H/2010M.

Ḥabanakah al-Maydānī, ‘Abd al-Raḥmān ibn Ḥasan. *Ṣirā‘ Ma‘a al-Mulḥidīn Ḥattā al-‘Azm*, Dimashq: Dār al-Qalam, Ṭ5, 1412H/1992M.

Smith, Robertson. *Diyānat al-Sāmiyyīn*, trans. ‘Abd al-Wahhāb ‘Allūb, al-Qāhirah: al-Maktabah al-‘Āmmah li-l-Thaqāfah, 1997.

Nuwayhid, ‘Ajāj. *Brūtūkūlāt Ḥukamā’ Ṣahyūn: Nuṣūṣuhā wa-Rumūzuhā wa-Uṣūluḥā al-Talmūdiyyah*, Beirut: Dār al-Istiqlāl li-l-Dirāsāt wa-l-Nashr, Ṭ4, 1996.

Badr, Ashraf. "Al-Īdiyūlūjiyyah al-Ṣahyūniyyah wa-al-Gharb: Riḥlat al-Tawzīf min al-Istishrāq ilā al-Islāmūfūbiyā," *Majallat al-Istighrāb* (2017).

La‘mash, ‘Abd al-Ḥafīz. "Al-Istighlāl al-Siyāsī li-l-Naṣṣ al-Muqaddas: al-Ṣahyūniyyah al-Masīhiyyah Unmūdhajan," *Majallat Ma‘ārif*, al-Sanah al-‘Āshirah, no. 19 (2015).

Al-Ka‘bīr, Hānī Fahād. *Al-Fikr al-Siyāsī al-Ṣahyūnī wa-Atharuhu ‘alā al-Ṣirā‘ al-‘Arabī al-Isrā’īlī fī Marḥalat al-Salām (1991–2013)*, Risālat Mājistīr, Jāmi‘at al-Sharq al-Awsat, 2013.

Balakhḍar, Karīmah. *Al-Uṣūliyyah al-Siyāsīyyah al-Mu‘Āshirah min Khilāl al-Ru‘yah al-Ṣahyūniyyah: Dirāsah Taḥlīliyyah Naqdiyyah*, Risālat Mājistīr, Jāmi‘at al-Jazā’ir, 1427H/2006M.

Al-Ma‘āyitah, ‘Aṭā Allāh Bakhīt. *Athar al-Inḥirāf al-‘Aqdī wa-al-Fikrī ‘inda al-Yahūd ‘alā al-Fikr al-Ṣahyūnī al-Mu‘Āshir*, Risālat Mājistīr, Jāmi‘at Umm al-Qurā, Makkah al-Mukarramah, 1988.

Laḥlūlī, Sārah. *Ru‘yah Naqdiyyah li-l-Markaziyyah al-Gharbiyyah ‘inda Rūjīth Ghārūdī*, Risālat Mājistīr, Jāmi‘at Muḥammad Khayḍar Biskrah, 2020.

‘Aṭwān, Muḥammad. *al-Isti‘māl al-Īdiyūlūjī li-l-Thaqāfah: Ṣidām al-Ḥaḍārāt Unmūdhajan*, Ittiḥād al-Udabā’ wa-l-Kuttāb fī al-Baṣrah, 2017.

Farrāy, L. *al-Quwā al-Khafīyyah fī al-Siyāsah al-‘Ālamiyyah*, tarjamat Muḥammad Kamāl Thābit, Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, n.d.

Marsden, Victor. *Protocols of the Elders of Zion*, Qāhirah: al-Ḥurriyyah li-l-Nashr wa-l-Tawzī', 2003.

Al-Rifā'ī, Fu'ād ibn Sayyid 'Abd al-Raḥmān. *Ḥaqīqat al-Yahūd*, Kuwait: Dār Ṣalāḥ al-Dīn, 1406H.

Carr, William Guy. *Aḥjār 'alā Raq'at al-Shiṭranj*, trans. Sa'īd Jazā'irī, Qāhirah: al-Dār al-Nafā'is li-l-Nashr wa-l-Tawzī', Ṭ1, 1970.

Al-Sayyid Ṣāliḥ, Sa'd al-Dīn. *al-'Aqīdah al-Yahūdiyyah wa-Khaṭaruhā 'alā al-Insāniyyah*, Dār al-Ṣafā li-l-Ṭibā'ah wa-l-Nashr, Ṭ2, 1410H/1990M.

Shawqī, Abdel Nasser. *The Protocols of the Elders of Zion and the Teachings of the Talmud*. Cairo: Dar Al-Funun, 2000.

Hussein, M. T. The Protocols of the Elders of Zion from a psychological perspective: An analytical study (*Unpublished doctoral dissertation, Joint Program between Ain Shams University and Al-Aqsa University*), 2009.

Sangwa, S. "Are the Protocols of the Learned Elders of Zion a Blueprint for Global Deception?" *Open Journal of Business Theology* 5 no. 2 (2025).